ونحن نميل هنا إلى القـول بأن ما عزي إلى هذيل إنما هو لهـجة لبعـضهم ممن كانوا يشتركون مع بعض الطائيين في شيء ما من سمات بيئتهم الصحراوية.

وبتأملنا فـيما حكي عن هذيل نرى أنهم إنما مالوا إلى قلب ألف المـقصور عند إضافته إلى ياء المتكلم لأن الألف خفية واليـاء خفية أيضًا، وكأنهم تكلموا بواحدة فأرادوا التبيان[1]، فكان القلب ثم الإدغام.

وهذا ما نجد شبـيهًا له عند بعض طيء فقد كانوا يقـولون في: أَفْعَى، وَحُبْلَى: أَفْعَيْ وحُبْلَيْ[2] بسبب خـفاء الألف في الوقف فـأبدلت ياء قصـدًا إلى الإيضاح وعدم الإلباس.

ومن هنا نرى اشـتـراك بعض الطائيين مع بعض هذيـل في هذه الظاهرة إذ هي من سمات البيئة البدوية وإحدى خصائصها النطقية.

المنادى المضاف إلى الياء- واللغات فيه

وتقدر فيه الضمة على الياء، والفتـحة على الحرف الذى يليه الياء. أما الكسرة فقـيل لا تقدر والكسـرة الموجودة قبل اليـاء وهي حركة الإعـراب اكتـفي بها في المناسـبة، وقيل: تـقدر أيضًا وهـذه حركة المنـاسبة لوجـودها في سائـر الأحوال واستحقاق الاسم لها قبل التركيب[3].

وقد اختلفوا في أصل حركة هذه الياء، هل الفتح أو الإسكان؟ على أقوال[4]..

وقد وزعوا اللغات في المضاف إلى ياء المتكلم على أربعة أقسام:

١- ما فيه لغة واحدة وهو المعتل فإن ياءه ثابتة وجوبًا ومفتوحة دائمًا وذلك لئلا يؤدي المجيء بها ساكنة إلى اجتماع ساكنين نحو يا فتاي، ويا قاضي..

٢- ما فـيه لغتان: وهو الوصـل المشبه للفعل فـإن ياءه ثابتة لا غيـر وهي إما مفتوحة أو ساكنة نحو: يا مكرمي ويا ضاربي.

---

(١) الكتاب ٢: ١٠٥.

(٢) الكتاب ٢: ١٠٥، شرح المفصل ٩: ٧٦.

(٣) الهمع ١: ٥٣.

(٤) شرح الكافية ١: ١٤٧.

٣- ما فيه ست لغات وهو ماعدا ذلك وليس أبا ولا أما نحو «يا غلامي» فالأكثر حذف الياء والاكتفاء بالكسرة وصلا أو وقفًا نحو قوله تعالى: ﴿**يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ**﴾ [الزمر: ١٦] فخففت الياء بحذفها وأبقيت الكسرة دليلاً عليها[١]، وهي قراءة ابن كثير وحفص وحمزة والكسائي وخلف وروح، ثم ثبوتها ساكنة وصلاً ورفعًا نحو ﴿**يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ**﴾ [الزخرف: ٦٨]، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر وكذا أبو جعفر، أو مفتوحة وصلاً نحو ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا**﴾ [الزمر: ٥٣] وهي لأبي بكر ورويس[٢].

وهذان الوجهان مطردان في هذا المنادى وهو المشهور فيها. ثم قلب الهاء بعد الألف فيها فيخفضونها مرة ويرفعونها، وقد حكي ذلك عن بعض أسد، والأكثر حذف الياء والاكتفاء بالكسرة دليلاً عليها.

وهذان الوجهان لا يكونان في كل منادى مضاف إلى ياء المتكلم بل في الاسم الذي غلب عليه الإضافة إلى الياء واشتهر بها لتدل الشهرة على الياء المغيرة بالحذف أو القلب.

وقد جاء شاذًا في المنادى نحو: يا غلامَ، ويا أبَ «بالفتح اجتزاء بالفتح عن الألف».[٣] وهو مذهب الأخفش، وعليه أنشد:

بِلَهْفَ وَلاَ بِلَيْتَ وَلاَ لَوَانِّي(*)

أصله: بقولي: يا لهفا.

ومنهم من يكتفي من الإضافة بنيتها ويضم الاسم كما تضم المفردات ولا يَفْعَل ذلك إلا في الاسم الغالب عليه الإضافة إلى الياء للعلم بالمراد ومنه القراءة الشاذة:

---

(١) شرح الكافية ١: ١٤٧.
(٢) الاتحاف: ١١٣.
(٣) شرح الكافية ١: ١٤٧، معاني القرآن ٢: ٤٢٢.
(*) البيت لم ينسب إلى أحد. وصدره قوله:

ولست براجع ما فات مني

والشاهد قوله: بلهف حيث جاء منادى حرف نداء محذوف أيضًا وهو مضاف إلى ياء المتكلم وقلبت الياء ألفًا وقلبت الكسرة التي كانت قبلها فتحة ثم حذفت الألف اجتزاء بحذف ما قبلها. وأصل الكلام بقولي يا لهفي.

﴿رَبُّ احْكُمْ﴾ وكقول بعضهم: «يا أُمُّ لا تفعلي» وقراءة آخر: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٢٣].

٤- ما فيه عشر لغات: وهو خاص بالأب والأم، وقد سبقت فيه اللغات الست، وهناك لغات أربع تتمثل في تعويض تاء التأنيث عن ياء المتكلم وتكسرها لمناسبة الكسرة للياء التي هي أصلها.

وجاز: يا أبتا ويا أمتا لأنه جمع بين عوضين.

وقد يطردون فيها فتح الميم نحو يا ابن أم، ويا ابن عم. اجتزاء بالفتحة عن الألف لزيادة استثقاله فبولغ في تخفيفه بحذف الياء مع فتح الميم.

وقد تضمان على التشبيه بنحو: ثبة وهبة وهو شاذ، وقد قرئ بهن[1].

****

(١) شرح الكافية ١: ٤٧١، أوضح المسالك ٥٢٦.

obeikandl.com